﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾

[البقرة: 162]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرَّبْـطُ بَـيْنَ اسْـتِـحْـقـاقِ الـلَّـعْـنَـةِ بالكُفْرانِ، وبَيْنَ الخُلودِ أَبَـدًا في النّيرانِ

لَمّا أَخْبَرَ سُبحانَهُ وتعالى في الآيَةِ السّابِقَةِ أَنَّ الَّذينَ كَفَرُوا، ومَاتُوا عَلَى كُفْرِهِم، ولَم يَتُوبُوا، وأَشْرَكُوا حَتَّى مَمَاتِهِمْ، وبَيَّنَ اسْتِحْقَاقَهُمُ اللَّعْنَةَ مِن اللَّهِ والْمَلَائِكَةِ والنَّاسِ؛ أَخْبَرَ في هَذِهِ الآيَةِ عَن مُدَّةِ بَقائهم في تِلْكَ اللَّعْنَةِ، أَو لَازِمِهَا، وهِيَ النَّارُ، فَنَاسَبَ أَن يُبَيِّنَ خُلُودَهم فيها بَعْدَ أَن اسْتَحقُّوها.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الأَصْـلُ في (الخلود) الملازمة على حالة ثابتة، مِـنْ غـير طـروء التّغيير

1) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: مِنَ الجَذْرِ (خلد)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ والْمُلَازَمَةِ، رَجُلٌ مُخْلَدٌ ومُخْلِدٌ، إِذَا أَبْطَأَ عَنْهُ الْمَشِيبُ[1]، ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: 19]، مِنَ الْخُلْدِ، وهُوَ الْبَقَاءُ، أَيْ: لَا يَمُوتُونَ[2]، والخُلُودُ في الجنّة: بَقَاءُ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي هي عَلَيْهَا مِن غَيْرِ اعْتِرَاضِ الْفَسَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾ [البقرة: 82]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ [البقرة: 39][3].

ومعنى الآية ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: دائمين في اللَّعْنَةِ والنارِ.

عـذابُ النّار ألـمٌ لا يُخفّف، وبلاءٌ لا ينقطع

2) ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾: مِنَ الجَذْرِ (خفف)، وهو في الأَصْلِ شَيْءٌ يُخَالِفُ الثِّقَلَ والرَّزَانَةَ[4]، خَفَّ القومُ: قَلُّوا، وأَخَفَّ الرّجلُ: إِذَا كَانَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلد)؛ الرّاغب، المفردات: (خلد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلد).
(3) الرّاغب، المفردات: (خلد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خف).

قَليلَ الثِّقَلِ في سفَره أَو حَضَره، والتَّخْفِيفُ: ضدُّ التَّثْقِيلِ[1]، قال ﷻ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: 66]، وكلُّ ما في القرآن من الخفَّةِ فهو ضِدّ الثِّقَلِ[2].

وفي الآية يَعْني لا يَنْقُصُ عَذابُهُمْ.

3) ﴿ٱلْعَذَابُ﴾: مِنَ الجَذْرِ (عذب)، وأصلُه من الضّرْبِ بِعَذَبَةِ السَّوْطِ، وعَذَبَةُ السّوطِ واللّسانِ والشّجَرِ: أَطْرافُها، والعَذَابُ: هو الإيجاعُ الشّديدُ، وقد عَذَّبَهُ تَعْذِيباً: أَكْثَرَ حبْسَه في العَذَابِ[3]، وهُوَ النَّكَالُ والْعُقُوبَةُ، فَمَعْنَاهُ إِهْلَاكٌ وإِفْنَاءٌ لِلْقُوَّةِ والْغِلَظِ، والْحَيَوِيَّةِ الْمُنْبَثَّةِ في الْبَدَنِ، أَي: تَجْرِيدٌ مِنْهَا بِإِيقَاعِ الْآلَامِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ذَلِكَ، كَالضَّرْبِ، والجَلْدِ، والكيِّ بالنَّارِ، ونَحْوِها[4].

العذابُ نكالٌ وعقوبةٌ، يعجزُ البطلُ الجلْدَ عن تحمُّلها

4) ﴿يُنظَرُونَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (نظر)، وهو في الأَصْلِ تَأَمُّلُ الشَّيْءِ ومُعَايَنَتُهُ، نَظَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِذَا عَايَنْتُهُ، ونَظَرْتُهُ: انْتَظَرْتُهُ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ[5]، والنَّظَرُ: الانْتِظَارُ، يقال: نَظَرْتُهُ وأَنْظَرْتُهُ، أي: أَخَّرْتُهُ، قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدّخان: 29]، فنَفَى الإِنْظارَ عَنْهم إشارةً إلى ما نبَّهَ عليه بقَوْلِه ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: 34][6].

ومعنى الآية ﴿لا يُنظَرُونَ﴾: لا يُمْهَلُون لكي يَعْتَذِرُوا.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مَن ماتَ مِن عُتاةِ الكَفَرَة، لَمْ تَنْفَعْهُ يَوْمَ يُبْعَثُ مَعْذِرَة

إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبُوه ومَاتُوا عَلَى جُحُودِهُم

من بوغت باختراع الأجل، لم يكن في إنظاره ساعة من أمل

(1) ابن منظور، لسان العرب: (خفف).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خفف).
(3) الرَّاغب، المفردات: (عذب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عذب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نظر)؛ الرَّاغب، المفردات: (نظر).
(6) الرَّاغب، المفردات: (نظر).

وتَكْذِيبِهم له، سيبقَوْنَ دَائِمين في اللَّعْنَةِ والنَّارِ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُم الْعَذَابُ، ومصيرُهم دَوَامُ العذاب عليهم أبدًا من غير توقيت، ولَا هُم يُمْهَلُونَ بِمَعْذِرَةٍ يَعْتَذِرُونَ بِهَا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

وجْهُ النَّصْبِ في قولِهِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

مَـنِ اسْـتَـحَـقَّ اللَّعْنَةَ العامَّةَ بِكُفْرانِه، كان خُلودُهُ في النّارِ غِبَّ أوانِه

قوله: ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ من الضَّمِيرِ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾، وانْتَصَبَ بِمَعْنَى الاسْتِقْرَارِ الْمُقَدَّرِ في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، "وَالْعَامِلُ في الْخَالِدِينَ: الظَّرْفُ من قَوْلِهِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى الاسْتِقْرَارِ، وهُوَ حَالٌ من الْهَاءِ والْمِيم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾"[2].

تنوُّعُ الاحتمالِ في مَرْجِعِ الضَّميرِ:

اخْـتِـلافُ مَـرْجِـعِ الـضَّـمِـيرِ لا يلزم عنه تباينُ المعاني

يُحتمَلُ رجوعُ الضَّمِيرِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فِيهَا﴾ عَلَى قَوْلِهِ في الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: خَالِدِينَ في اللَّعْنَةِ، "وقِيلَ: عَلَى النَّارِ، وإن كَانَ لَم يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ، لِثُبُوتِهَا في الْمَعْنَى"[3]، و"تَفْخِيمًا لِشَأْنِهَا وتَهْوِيلًا"[4]، "أَو اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ اللَّعْنِ عَلَيْهَا"[5]، وعلى ترجيح عَوْدَةِ الضَّمِيرِ على اللعنة يجبُ تقديرُ النَّارِ، لدلالة اللّحاقِ عَلَيْهَا، وسَوَاءٌ كَانَ الْمَرْجِعُ النَّارَ أَم اللَّعْنَةَ، فَالْمَعْنَى الْمُتَحَصِّلُ واحِدٌ فـ "خُلُودُهُم فِيهَا خُلُودٌ في الْعَذَابِ"[6].

بلاغةُ دُخُولِ لا النَّافيةِ على الفِعْلِ المُضَارِعِ:

نـفـيُ تـجـدُّدِ الـتَّـخـفـيـفِ إثباتٌ لاستمرارِ العذابِ

جاءَ النَّفْيُ بِلَا، دُونَ لَنْ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْحَالَ، فَالنَّفْيُ بِـ (لن) يَصْرِفُ الزَّمَانَ لِلْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّهَا نَصٌّ في نَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ، وفي النَّفْيِ بِـ (لَا) مع

(1) ابن جرير، جامع البيان: 3/261، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/24.
(2) الواحديّ، البسيط: 3/448.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/232.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/210.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/116.
(6) الزّجّاج، معاني القرآن: 1/236.

الفعْلِ المضارِعِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الانْتِفاءَ مُتجدِّدٌ، ولـمَّا كان عَدَمُ التَّخفيفِ مُتجدِّدًا، أفادَ بالضَّرورةِ تجدُّدَ العذابِ، فنفيُ تَجَدُّدِ التَّخفيفِ إثباتٌ لاستمرَارِ العذابِ، وهذا في غايةِ البراعَةِ في التَّرهيبِ، إذ إنَّ التَّخفيفَ مَطْمَعُهم، وبنفيِه فلا يبقى في الوجدانِ أمَلٌ في الاستراحةِ، ومثلُه قَوْلُه ﷻ: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، فهو نصٌّ في نفيِ تجدُّدِ الإمْهالِ، ومجموعُ الجُملَتَيْن يُصَوِّرُ حالَ القَوْمِ في عذابِ النَّارِ.

تَرَابُطُ جُمَلِ الْوَصْلِ فِي بيانِ مَقْصُودِ المعنى:

ما بَعْدَ ذَلِكَ التَّشْنِيعِ المُخيف، غَيْرُ الهَلاكِ المُزَلْزِلِ العَنيفِ

جَاءَ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ بِحَرْفِ الْعَطْفِ؛ لِاتِّحَادِهِمَا فِي الْخَبَرِيَّةِ، فَأَرَادَ الْإِخْبَارَ بِانْتِفَاءِ مَعْنَيَيْنِ عَنِ الْخُلُودِ، وهُمَا التَّخْفِيفُ والتَّأْخِيرُ، فَالْخُلُودُ واسْتِقْرَارُهُم فِي النَّارِ، رُبَّمَا يُظَنُّ مِنْهُ أَنَّهُم بِطُولِ مُكْثِهِمْ، سَيُخَفَّفُ عَنْهُم الْعَذَابُ، أَو رُبَّمَا سَيُمْهَلُونَ، ويُؤَخَّرُونَ عَنْهَا، فَجَاءَ النَّفْيُ لِتِلْكَ الظُّنُونِ بِخَبَرَيْنِ مَنْفِيَّيْنِ، لِتَثْبِيتِ الْحُكْمِ، ونَقْضِ ذَلِكَ الْوَهْمِ والِاحْتِمَالِ، "ثُمَّ أَعْلَمَ تَعَالَى بِرَفْعِ وُجُوهِ الرِّفْقِ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْعَذَابَ إِذَا لَم يُخَفَّفْ، ولَم يُؤَخَّر فَهُوَ النِّهَايَةُ"[1].

إِيثَارُ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ لتحقيقِ المهانةِ المعنويَّةِ:

الْفِعْلُ في كِلتا الْعِبارَتَيْنِ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، فَلَم يُذْكَر الْفَاعِلُ لِلْفِعْلَيْنِ، وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ؛ لِتَحْقِيقِ الْمَهَانَةِ، وعَدَمِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ، كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: 108]، فَيَكُونُ آخِرُ عَهْدِهِم بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِهْمَالًا لَهُم وتَرْكَ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ، وفيه إهانَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، في مضامينِ الإخبارِ بعذابِهم المادّيِّ.

إِيثَارُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْمِيَّةِ في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾:

الحُكْمُ بالتّأبيدِ عَلى أَهْلِ النِّيران، لا يُؤَثِّرُ فيه طولُ الزَّمان

الْجُمْلَةُ الِاسْمِيَّةُ الَّتِي خَبَرُهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، مِثْلُ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ في عَدَمِ إِفَادَةِ الدَّوَامِ والثُّبُوتِ، فَإِيثَارُ الِاسْمِيَّةِ يُفِيدُ تَقْوِيَةَ الْحُكْمِ[2]،

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/232.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/392.

والْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ الَّتِي يَكُونُ الْمُسْنَدُ فِيهَا فِعْلًا، تَكْتَسِبُ صِفَتَيْنِ: الْقُوَّةَ في الْحُكْمِ، والاسْتِمْرَارَ والتَّجَدُّدَ، فَيَكُونُ نَفْيُ الْإِنْظَارِ مِثْلَ نَفْيِ التَّخْفِيفِ، لَكِن مَعَ قُوَّةٍ اكْتَسَبَهَا مِن خِلَالِ الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ، فَالْمُرَادُ هُوَ نَفْيُ التَّأَثُّرِ بِالزَّمَنِ، فَالْحُكْمُ عَلَيْهِم لَا يَتَغَيَّرُ، ولَا يَتَأَثَّرُ بِعَامِلِ الزَّمَنِ؛ لِأَنَّهُ حُكْمٌ ثَابِتٌ مُسْتَقِرٌّ، لَا يَتَبَدَّلُ مَهْما مَرَّ عَلَيْهِ الزَّمَانُ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنْظار والتَّأْخير:

(يَجوزُ أَنْ تُنْظَرَ اللّـيـالي *** والخُلْدُ في الدّهر لا يجُوزُ)

جاء قوله: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ في القرآن مع الأجَل المُحدَّد: قال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: 34]، ومثله في: [يونس: 49]، و[النّحل: 61]، و[المؤمنون: 43].

وجاءَ الإنْظارُ مَعَ ما فيه مِنْ سُوءِ المُنْقَلَبِ، كالعَذابِ، واللَّعْنَةِ، والفَتحِ، والفتحُ سُوءُ مُنقلَب في حقِّ المنْهَزِم، وكذا يَوْمُ القيامَةِ في حَقِّ مُنْكِرِها، في قوله ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: 162]، و[آل عمران: 87، 88]، ومثله في: [النّحل: 85]، و[الأنبياء: 40]، و[السّجدة: 29].

فالتّأخيرُ هُو تَغييرُ التَّوقيتِ المَوْضوعِ مُسبقًا، فهُو عامٌّ في الوَقْتِ، أمّا الإنْظارُ ففيهِ تَأخيرٌ معَ عُذْرٍ، ولا عَلاقَةَ له بِوَقْتٍ موضوعٍ مُحَدَّدٍ، كقوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280]، فلا تَوقيتَ مُحَدَّدًا لِبُلوغِ المَيْسَرَةِ، فاللّعْنَةُ والعذابُ وغَيرُهما، هيَ أحْداثٌ لَيْسَت مُؤَقَّتَةً، كتَوْقيت الأجَلِ، فالإنظارُ تَأْخيرٌ مَخْصوصٌ، وهكذا اسْتَعْمَلَهُ القُرآنُ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»